المنظومة القيمية للتنشئة الأسرية وضبط السلوك الاجتماعي

د/لطيفة طبال
جامعة البليدة 2

الملخص :

الأسرة هي أهم وسط للتنشئة الاجتماعية باعتبارها مؤسسة اجتماعية هامة حيث تلعب الدور الأساسي في تعليم الطفل القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المرغوبة كما تقوم الأسرة بنقل التراث الثقافي إلى الطفل والخبرة التعليمية من خلال التفاعل بين الآباء والأبناء وتوزيع مكانة وأدوار الأفراد داخل الأسرة، والجدير بالذكر أن كل أسرة يمكن أن تستمد تنشئة أبنائها من مجموعة القواعد والأحكام الاجتماعية التي تتماشى مع ثقافة المجتمع، كما تحتاج الأسرة للقيام بتنشئة أبنائها تنشئة سليمة إلى كثير من المقومات التي تساعدها على توفير بيئة خالية من التوتر والاضطراب، فهناك عوامل عديدة يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر على حياة الأفراد في تفاعلاتهم اليومية وعلى التنشئة داخل الأسرة الجزائرية.

Résumé :

La famille est une institution sociale très importante, c'est le milieu le plus favorable de la socialisation où elle joue un rôle déterminant dans l'éducation des enfants les valeurs, les attitudes et les habitudes de comportement souhaité, Comme elle s'occupe du transfert du patrimoine culturel et l'expérience éducative à l'enfant grâce à l'interaction entre les parents et les enfants et la répartition des statuts et les rôles des individus au sein de la famille.

Il est à noter que chaque famille peut dériver l'éducation de leurs enfants à partir de normes et dispositions sociales et qui sont en ligne avec la culture du groupe de la communauté, et pour élever une éducation saine aux enfants la famille a besoin de beaucoup d'ingrédients qui aident à fournir un environnement et des turbulences sans stress, il ya beaucoup de facteurs qui peuvent affecter d'une manière ou d'une autre sur la vie des individus dans les interactions quotidiennes et de la formation au sein de la famille algérienne.

مقدمة :

الأسرة هي أهم وسط للتنشئة الاجتماعية باعتبارها مؤسسة اجتماعية هامة حيث تلعب الدور الأساسي في تعليم الطفل القيم والاتجاهات وأنماط السلوك المرغوبة كما تقوم بنقل التراث الثقافي إلى الطفل والخبرة التعليمية من خلال التفاعل بين الآباء والأبناء وتوزيع مكانات وأدوار الأفراد داخل الأسرة، والجدير بالذكر أن كل أسرة يمكن أن تستمد تنشئة أبنائها من مجموعة القواعد والأحكام الاجتماعية التي تتماشى مع ثقافة المجتمع، كما تحتاج الأسرة للقيام بتنشئة أبنائها تنشئة سليمة إلى كثير من المقومات التي تساعدها على توفير بيئة خالية من التوتر والاضطراب، فهناك عوامل عديدة يمكن أن تؤثر بشكل أو بآخر على حياة الأفراد في تفاعلاتهم اليومية وعلى التنشئة داخل الأسرة الجزائرية.

ومنه نحاول التطرق إلى منظومة القيم التي تتفاعل معها الأسرة إنطلاقا من أهم القيم التي تسيطر على المخيال الإجتماعي وتدخل ضمن الأساليب التنشيئة الأسرية .

أولا : المسار التاريخي لمفهوم القيم:

القيم ،هي كلّ ما يعتبر جديرا باهتمام الفرد وعنايته لاعتبارات اجتماعية أو اقتصادية أو سيكولوجية الخ...والقيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكه، وتؤثر في تعلمه... فهناك قيم أخلاقية ،وهي ترسم معايير الخير والشر وتبيّن متى يكون الفعل أو الشيء خيرا ،ومتى يكون شرّا، والقيم المنطقية أو العقلية ،وهي التي تبيّن الصواب والخطأ في الأفعال والمعتقدات(1).

إذا نظرنا إلى المجتمع نظرة تحليلية فإنّنا نجده يتكون من عديد من النظم الاجتماعية كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني والأسري الخ... ويتكون النظام من قيم معينة تحدد هويته، فالنظام الاقتصادي في المجتمع الغربي مثلا يمثل قيم الفردية والمنافسة والربح السريع... ويعكس النظام هذه القيم في مجموعة من المعايير التي تكون مكتوبة فتأخذ شكل القانون أو غير مكتوبة فتأخذ شكل العرف أو التراث أو التقاليد...فيسلك الفرد داخلها أنماطا من السلوك تعكس العادات الاجتماعية أو الطرائف الشعبية والتي تعكس بدورها اتجاهات الفرد نحو النظام.

ويمكن ملاحظة أنّ البناء المعياري يحتوي على العديد من المفاهيم المتداخلة والتي يجب أن نميّز بينها، فالمعيار (Normes) هو القاعدة أو المقياس أو نمط للسلوك، والمعايير الاجتماعية بذلك تكون قواعد للسلوك أو مقاييس من خلالها يحكم على السلوك بأنّه مقبول أو غير مقبول (منطقي أو غير منطقي) من الناحية الاجتماعية، وهو ببساطة تحديد ثقافي للسلوك المرغوب فيه، فمثلا مفهوم التضامن يترسّخ في الموروث التنشيئي للأفراد ،عبر العائلة التي تكسب أفرادها هذا المعنى فيصبح

الفرد يسلك ويتفاعل مع هذا المفهوم (التضامن) سواء في دائرة النظام الأسري، أو في دائرة النظام الاقتصادي أو في نظام آخر داخل النسق الاجتماعي دون أن يتأثر هذا المعنى، سواء كان داخل مجاله الطبيعي الذي من أجله وجد داخل مجال مناقض تماما لمعياره. فمثلا نجد أنّ الأفراد يتضامنون في الكوارث أو في الأزمات سواء الاجتماعية أو العائلية وهذا يكسبهم شعورا بالاستحسان والارتياح لما يحمله مفهوم التضامن من قيمة خيرية وجمالية، في حين يتعدى هذا المفهوم حقله الطبيعي ونجده في ميدان العمل والصناعة، والتي تتطلب نوعا من العقلانية في التوظيف حسب الكفاءة والإمكانيات، والمؤهلات.

يرى بعض العلماء أنّ اصطلاح القيمة مرادف لاصطلاح نافع أو لائق، وهناك من يقول إنّ القيم هي الأفكار الاعتقادية المتعلقة بفائدة كل شيء في المجتمع، ولغويا تعني القيمة في الفعل اللاتيني (Valeo) يعني أصلا أنني قوي ثم أصبح هذا المعنى يشير إلى فكرة عامة، فكرة أن يكون الإنسان بالفعل مفيدا أو متكيّفا، وأنّ كلمة قيمة (Valeur) باللغة الفرنسية والكلمات التي تقابلها بالإنجليزية والألمانية مازالت تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني لاسيما (Worth) الإنجليزية(1)، وربما كان اللفظ الفرنسي فريدا في تشبعه بمعنى القيمة من وجهة النظر الاقتصادية، سياسية فيكون الشيء ذا قيمة عندما يكون المرء على استعداد ليبذل في سبيل الحصول عليه كل ما يمكن أن يبذله من مال أو غيره(2).

ثانيا: تحديد مفهوم القيم:

يتعرّض الفرد في حياته للخبرات المختلفة عن طريق التنشئة الاجتماعية سواء تعلّق الأمر بالخبرات المقصودة أو غير المقصودة فيتعلم ويكتسب موجهات لسلوكه ويوظفها في حياته اليومية، هذا التفاعل نسميه القيم، فالقيم بهذا المعنى تدلنا على ما ينبغي أن نفعل وما لا ينبغي أن نفعل.

فالقيم كغيرها من المفاهيم الاجتماعية، اهتم بها عدد كبير من العلماء والباحثين وحاولوا تحديده، فمثلا حدد "سميث" وآخرون (Smith) أنّ القيمة تطلق على ما هو جدير باهتمام الفرد لاعتبارات مادية أو معنوية أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية أو جمالية(1). كما يعرّف "ليبيت" (Lippit) القيمة بأنّها معيار الحكم يستخدمه الفرد أو الجماعة من بين عدة بدائل في مواقف تتطلب قرارا ما و سوكا معينا(2).

ويمكن اعتبار القيم تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني ،والقيم هي كذلك مجموعة من المبادئ والمعايير التي يضعها مجتمع ما في ضوء ما تراكم عليها من خبرات، وتتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها، تنظيم العلاقات بينهم، كما أنّها الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء مستهديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد بالتالي المرغوب فيه وغير المرغوب

فيه(3)

كما يرى عاشور راتب، أنّ القيم هي مجموعة الأفكار والاهتمامات التي كونها الفرد من خلال تجاربه المتنوعة والعملية في المجتمع آخذة صفة المعيارية لتصرفاته، ولها الصفة الإيجابية الشرعية للحكم في تصرفاته وسلوكه في المجتمع(4).

كما أجمع علماء الإجتماع أن للقيم مجموعة من الخصائص ،من أهمها أنها :

-1- تصطبغ بالصبغة الاجتماعية، ومنه تنطلق القيم من إطار اجتماعي محدد على ضوئها قيم الحكم على سلوك الأفراد لأنّها تنال قبولا من المجتمع.

-2-تتصف القيم بالذاتية: إذ يحس كل شخص منا بالقيم على نحو خاص به.

-3-تتصف القيم بالنسبية: من حيث الزمان والمكان، فبما يعتبر مقبولا في عصر من العصور' لا يعتبر كذلك في عصر آخر، وما يعتبر مناسبا في مكان قد لا يكون كذلك في مكان آخر.

-4- تتسم القيم بالهرمية: تترتب حسب أهميتها بشكل متدرجا وحسب التفضيل والأهمية، وعلى هذا يمكننا القول أن لدى كل فرد نظاما للقيم يمثّل جزءا من تكوينه النفسي الموجه لسلوكه.

-5- تتصف بالقابلية للتغيير: رغم ثباتها النسبي إلاّ أنّها قابلة للتغيير بتغيّر الظروف الاجتماعية لأنّها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية ونتاج لها.

-6- تتسم القيم بالعمومية: تشكل طابعا عموميا (قوميا عاما) ومشتركا بين جميع الطبقات.

-7-تتضمن نوعا من الرأي العام والحكم على شخص أو شيء أو معنى معين.

-8-القيم مثالية: ليست شيئا بأي حال.

-9-القيمة تجربة: لكل من الأفراد تقدير خاص للقيمة انطلاقا من التجربة التي تحملها نحو القيمة.

-10- القيمة ذات قطبين: فهي تحمل أحد الصفات فهي تحمل إما صفة الخير أو الشر ، الحق أو الباطل...

ومنه فالقيم هي نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويكتسبها ويتشربها ويستخدمها تدريجيا ويضيفها إلى أطره المرجعية للسلوك ويتم ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية(1).

ويرى "بارسونز" (Parsons) أنّ القيمة تتكون من ثلاثة عناصر وهي:

-1- المكون العقلي -المعرفي- (الاختيار).

-2-المكون الوجداني النفسي (التقرير).

-3- المكون السلوكي الإرشاد الخلقي (الفعل).

وهذه العناصر متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض وذلك بتأثير المجتمع والتفاعل الاجتماعي، التي تعكس ثقافته وتعبر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة(2).

ونعتمد في هذا المقام على تصنيف القيم على أساس أبعادها المختلفة وعلى النحو التالي:

-1- أنماط القيم حسب المستوى:

أ- قيم دينية: ترتبط بالاهتمام بالمعتقدات والتعليم الدينية.

ب-قيم اجتماعية: وترتبط باهتمام الفرد بقيم: كالتضامن والتعاون والتضحية وبذل الجهود من أجل الآخرين (قيم الولاء).

ج-قيم اقتصادية: وترتبط بالاهتمامات العملية ذات النفع المادي، والصناعة والإنتاج والثروة واستثمار الأموال في الأعمال التجارية.

د- قيم معرفية: ترتبط باهتمام الفرد وميله لاكتشاف الحقائق والمعارف.

هـ – قيم سياسية: ترتبط بالسلطة والقوة، والعمل السياسي.

و-قيم جمالية: وترتبط بميل الفرد إلى ما هو جميل من حيث الشكل وكمال التنسيق والانسجام(1).

-2- أنماط القيم حسب مقاصدها:

تنقسم القيم من ناحية قصدها إلى نوعين:

أ- قيم وسائلية: وهي تلك القيم التي ينظر إليها على أنّها وسائل لتحقيق غايات أبعد.

ب- قيم نهائية: وهي الأهداف والفضائل النهائية التي تضعها الجماعات لأفرادها.

-3- أنماط القيم حسب شدتها وإلزامها:

ويمكن أن نميّز هنا بين ثلاثة مستويات شدّة القيم وإلزامها وهي:

أ-ما ينبغي أن يكون وهي القيم الملزمة أو الآمرة لنا وهي موجودة في الأسرة.

ب-ما يفضل أن يكون: أي القيم المثالية التي يحس الناس بصعوبة تحقيقها بصورة كاملة.

-4- أنماط القيم حسب شيوعها:

أ-القيم العامة: وهي القيم التي يعم انتشارها في المجتمع كله.

ب-القيم الخاصة: وهي المتعلقة بمناسبات اجتماعية معينة أو بمناطق محدودة أو جماعة خاصة(2).

-5- أنماط القيم حسب وضوحها:

تنقسم القيم من ناحية وضوحها إلى قسمين:

أ-القيم الصريحة: وهي القيم التي يصرّح بها ويعبّر عنها بالكلام وبالسلوك نفسه.

ب-القيم الضمنية: وهي القيم التي تستخلص ويستدل عليها من ملاحظة الاختيارات التي تتكرر في سلوك الأفراد.

-6- أنماط القيم حسب ديمومتها:

وتصنف القيم حسب هذا البعد إلى صنفين هما:

أ-القيم العابرة: وهي التي تزول بسرعة، وتمتاز بعدم قدسيتها من قبل المجتمع.

ب–القيم الدائمة: وهي التي تدوم زمنا طويلا وقد تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ(1).

إنّ القيم هي محددات لسلوك الفرد وأفعاله ، يعرّف "موريس" القيم بقوله: "التوجه أو السلوك المفضّل أو المرغوب من بين عدد من التوجهات المتاحة".

ويصنّفها إلى ثلاث فئات رئيسية:

–1–القيم العاملة: يمكن الكشف عنها من خلال السلوك التفضيلي أي في سياق اجتماعي.

–2– القيم المتصورة: هي عبارة عن التصورات المثالية لما يجب أن يكون، كما يتمّ في ضوئها الحكم على السلوك.

–3–القيم الموضوعية: في ضوء ذلك يعرف البعض القيم بأنّها مفهوم يدل على مجموعة من الاتجاهات المركزية لدى الفرد في المواقف الاجتماعية، فتحدد له أهدافه العامة في الحياة، والتي توضح من خلال سلوكه.

ومن خصائصها السوسيولوجية أنّها تحدد اتجاهات الفرد واهتماماته وسلوكه وتتسم بخاصية إلزام تكتسب في ضوء معايير المجتمع والإطار الحضاري الذي تنتمي إليه هذه القيم.

والسؤال الذي يطرح هو كيف تتم عملية اكتساب القيم؟

يعرّف "ريشر" (Rescher) عملية اكتساب القيم بأنّها العملية التي يبني الفرد من خلالها مجموعة معينة من القيم مقابل التخلي عن قيم أخرى، إنّ التغيير يتضمن إعادة توزيع الفرد لقيمه، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي(2).

الملاحظ هو امتداد العمل لدى الأفراد يزداد عدد القيم التي يتبناها ، فهذه القيم تختلف من مجتمع لآخر، فهي نتاج ثقافي–اجتماعي.

وحسب "موريس" (Morris 1956) يقسم القيم إلى ثلاث فئات رئيسية:

1–المحددات البيئية والاجتماعية: حيث يمكن تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين الأفراد في ضوء اختلاف المؤثرات البيئية والاجتماعية.

2–المحددات السيكولوجية: ويقصد بها سمات الشخصية ودورها في تحديد القيم للأفراد.

3–المحددات البيولوجية: وتشمل الملامح أو الصفات الجسمية (كالطول والوزن) والتغيرات في التغييرات في هذه الملامح وما يصاحبها من تغييرات في القيم.

يتأثر الفرد بأسلوب التنشئة الأسرية والتوجهات التي يتلقاها في ثقافته ومجتمعه ، فالتنشئة هي العملية التي يكتسب الفرد (الطفل) من خلالها السلوك والمعتقدات والمعايير والقيم(1).

يستدخل الفرد القيم بناء على استعداداته وتفاعله مع الآخرين، وما يلقاه من تشجيع وتدعيم أو كف وإحباط حيال هذه القيم.

والأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تساهم في نقل القيم من جيل إلى جيل، فهي التي تحدد

لأبنائها ما ينبغي في ظل المعايير الحضارية السائدة، ولقد دلّت الأبحاث أنّ هناك علاقة بين أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها في إكساب الفرد قيما معينة، ثم تقوم الجماعات الثانوية (المدرسة، جماعة اللعب، المجتمع) التي ينتمي إليها الفرد من خلال مراحل حياته بدور مكمل، حيث تحدد للفرد قيما معينة يسير في إطارها.

وتعتبر الأسرة ميدان تفاعلات مستمرة وشديدة بين مختلف أعضائها فتماسك العائلة يتحقق بواسطة إدراج الطفل في المجتمع من خلال اعتماده على العائلة وربطه بها ودعمه إياها.

وأهم قيمة يتعلمها الطفل في المراحل كلها من عمره هو "قيمة الاعتماد" (الاتكالية) فينمو وشعوره بأن! مسؤوليته هي اتجاه العائلة لا اتجاه المجتمع، وهنا تنمو قيمة ثانية وهي الشعور الدائم والمفرط بأنّ واجبه هو من جهة التضحية في سبيل والديه وإخوته ومن جهة أخرى بذل كل ما في وسعه من أجل أقربائه وهذه القيمة التي نشأ عليها هي "الولاء للأسرة".

والملاحظ في الأسرة الجزائرية في عمومها أنّها لا تتيح لطفل القدر الكافي من الاستقلالية والاعتماد على النفس بل هي حاضرة في كل صغيرة وكبيرة في حياته فمثلا إذا ما حاول الطفل فتح الباب أو زحزحة الكرسي أو تسلق الدرج فإنّه يجد من يقوم بهذا العمل بدلا عنه، ومنه فإنّه يتعلم بسرعة العزوف عن النشاط المستقل، منتظرا من الآخرين أن يقوموا بالأعمال التي يتوجب عليه القيام بها، ومن نتائج ذلك أنّ الإفراط في الاتكال يؤدي في معظم الأطفال الشعور بالعجز، وهذا ما هو موجود في بعض المؤسسات الاقتصادية أنّ هناك عمالا يعتمدون على غيرهم من التوظيف إلى إنجاز المهام إلى الترقية وهذا دليل على قيمة الاتكالية والعجز والهروب من المسؤولية، وقد تعلم الطفل في المراحل الأولى سواء في الأسرة أو حتى في المدرسة عن طريق مناهج التعليم .

ولا تكتفي بتعليم الطفل أنّه عاجز عن تحقيق الاحترام الذاتي، بمعنى أنّه لا يكتسب أهمية إلاّ إذا اعترف الآخرون بها ومنحوه المكانة والتقدير، فالطفل يغذي احترامه لنفسه على أساس رأي الآخرين وهو يفعل ذلك لأنّه لا يلقى أي تشجيع في تكوين مقاييس تختلف عن مقاييس الآخرين، وتمكنه من تكوين رأي مستقل في نفسه وشؤونه وفي كل الشؤون الأخرى، تثني الفرد عن الثقة في آرائه الخاصة وتشجعه على قبول آراء الآخرين دون تردد أو تساؤل، وهذا ينمي في نفسه الخضوع للسلطة مهما كانت سلطة الأب في البيت سلطة المعلم في المدرسة، سلطة المسؤول في المؤسسة الاقتصادية مثلا، فالإفراط في الحماية من طرف الأسرة تترك أثرها الكبير في نفسية وشخصية الطفل حتى وإن صار كبيرا فإنّ ذلك يظهر في بعض سلوكياته غير العقلانية مستقبلا، وتفسير هذا أنّ الأسرة خصوصا الأم تغرس فكرة الطفل "العاقل المهذّب" هو الطفل الذي يجلس هادئا بجانب أمه، ساكنا ومطيعا، عكس الطفل الذي يحدث الضجيج والشغب، ومنه فالطفل الهادئ المطيع يصبح طفلا خجولا غير مسؤول يهرب في وجه أي صعوبة يبكي ويشتكي ويلتمس الرحمة عندما يقع في المشاكل

والصعوبات، فهو تعلم قيمة أخرى من الأسرة والمجتمع وهي "لا أقوى على ذلك"، وقيمة الاتكالية التي نستشفها من هذه المقولة "لا أقوى على ذلك" معناه أنني في حاجة إلى الاستعانة بالغير، سواء كان هذا الغير بالنسبة للطفل الأسرة الأم الأب، الأخ الأكبر، أو كان هذا الغير مسؤولا في مؤسسة فأنا محتاج ليساعدنا في التوظيف والترقية الخ...، لأنّ البيئة الاجتماعية قد حددت سلفا مركز الفرد ودوره في المجتمع وهو الخضوع والاتكالية، وهنا تظهر لنا قيمة اجتماعية قد حرفت وهي قيمة التضامن التي أصبحت تدلّ على الواسطة والمعارف والمساعدة وأصبحت المساعدة والواسطة من الحوافز الاجتماعية الداخلية والتي تعزز نمط السلوك المفضل في المجتمع.

ومن القيم التي يتعلمها الطفل وتؤثر على سلوكه مستقبلا هي قيمة "الحذر" ويظهر هذا في المثل العربي المأثور "امشي الحيط الحيط" وهو دعوة إلى الحذر وعدم المغامرة، وفي هذا الصدد يقول هشام شرابي: "إنّ المجتمع يقضي أن تحل روح الخضوع محل روح الاقتحام، روح المكر محل روح الشجاعة، وروح التراجع محل روح المبادرة"(1)، وهذا ما يؤكد المثل الشعبي والذي يحمل قيمة عدم المواجهة والخنوع والعجز "اليد اللي ما تقدر تكسرها قبلها وادعي عليها بالكسر" وكذلك "العين ما تقاوم المخرز".

وفكرة العجز الموجودة عند كثير من الأفراد وخصوصا المسؤولين في المؤسسات الاقتصادية هو ما نجد تعبيرا عنه في موقف الجبرية وهي نوع من "العجز"، ويظهر هذا في "الله غالب" جات من فوق" "كون في مكاني واش الدير" أو في القول الشعبي "عايشني اليوم واقتلني غدوة" ويفسّر هذا السلوك أنّ رغبات اليوم تجري تلبيتها على حساب حاجات الغد، وأنّ الاتجاه هو نحو الإشباع لا نحو التثمير والإنتاج، وهذه الصورة تعني أننا نتلذذ بالحاضر وعاجزين عن ضبط المستقبل، فالسلوك المبني على المستقبل وهو عجز واضح في السلوك.

إنّ الواقع الاجتماعي هو واقع استهلاكي مفصول عن الجهد والعمل، فلشروط للانتقال والتغيير أي العقلانية في التخطيط والتنظيم والتنمية تبدو مفاهيم جامدة وغير مرتبطة بعضا ببعض.

يعمل الفرد دائما –وهذا ما تعلمه من الأسرة ، المجتمع– أن يظهر بمظهر الضعيف، فالعبارة الاجتماعية التي تقول "مسكين مشي بيدو دارها" "الله غالب عليه" "ساعدو أخوكم" الخ...، هي ليست عبارة مجردة من العطف على الفرد الفاشل بل أيضا تبرير لفشله، والفشل ليس مرفوضا في المجتمع طالما يرضي صاحبه بوضعه ويخضع لمتطلباته، فالشعور بالعجز والهروب من المسؤولية، أو تبريره على الأقل أو تغطيته أمر يحققه بإعادة تنظيم الواقع، وهو نوع من العقلانية السحرية على حد تعبير هشام شرابي(1)، وهي ثنائية ذهنية بين اللاعقلانية والعقلانية أي ما هو واقعي يصبح عقلانيا ولكن بصورة غير كاملة وما هو عقلاني ينظر إليه جزئيا كشيء يتخطى العقل ويتجاوزه، فمثلا استعمال الوسائط أو الرشوة للوصول إلى الهدف المطلوب هو سلوك عقلاني ومنطقي مادام الهدف واضحا

فلا تهم الوسيلة، أما عدم استعمال هذه الوسيلة مع وضوح الغاية والهدف فهذا اجتماعيا غير مقبول، وهذا ما يؤكده المثل الشعبي"اللي يخدم في العسل لا بد أن يذوق" وهذا تبرير وتخلي عن المسؤولية"، فمن وجهة نظر الاجتماعية سلوك عقلاني وطبيعي أما من الناحية المنطقية فهو غير عقلاني، وعند تصنيفنا لبعض القيم مثل التضامن الاجتماعي، وهي قيمة فيها نوع من العقلانية أما الواسطة المساعدة لغير الأكفاء مقابل تهميش الأكفاء فهذه قيمة غير عقلانية، لكن السلّم الاجتماعي للقيم أصبح لا يعبّر بحق عن ترتيب الأولويات الاجتماعية من حيث القيم وأهميتها في ضبط السلوك وإعطاء صورة حقيقية ورسم معالم العقلانية فيه، لأنّ التنشئة الاجتماعية (الأسرة– المدرسة) أعطت صورة مثالية في أنماط تربيتها لبعض القيم المجسّدة اجتماعيا مثل المحبة، التعاون، الصدق، الخ...،والتي تعلمها الفرد لفظيا في البيت والمدرسة لكنّه سرعان ما يكتشف تلقائيا من خلال الآخرين الأسرة، الوالدين، الإخوة الكبار، المعلمين الذين يتعامل معهم في المجتمع أنّ هذه القيم مجرّد مثل لا ارتباط لها بالحياة الواقعية والسلوك العام، وهذا ما تؤكده النماذج السلوكية فالكثير من الأفراد الذين يتكلمون عن الموضوعية والتسيير العلمي، والتنظيم، لكنهم سرعان ما يبررون فشلهم في السلوكات المنافية للتسيير العلمي والتنظيم والموضوعية.

خاتمة :

إنّ العلاقات الاجتماعية ما هي في النهاية إلا انعكاس للعلاقات العائلية، والسلوك الاجتماعي ما هو إلا تعبيرا عن الشخصية الاجتماعية المنبثقة من الارتباط الوثيق بين العائلة والمجتمع ، التي أخذت الشكل العقلاني على مستوى منظومة القيم والأمثال والتي هندستها التنشئة على مستوى العائلة وباقي المؤسسات الاجتماعية .

الهوامش:

1. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977.
2. . فوزية الدياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية بيروت، 1980،.
3. ديمون دويه، فلسفة القيم، ترجمة، عادل العواء، دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ط4 1990،
4. عيسى محمد رفقي، توضيح القيم ، المجلة التربوية المجلد1 ، العدد3، 1995،
5. الأشقر جمال، درجة تمثل الثالث الثانوي الأكاديمي في المدارس الحكومية في محافظة عمان، مجموعة من القيم الاجتماعية والأخلاقية والعلمية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية عمان، 1996،
6. عاشور راتب، القيم الاجتماعية في كتب القراءة لطلبة الصفوف الأربعة الأولى في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك ، الأردن، 2000م.
7. صالج محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. دار الكتاب العربي ،بيروت 1988
8. مرعي توفيق، وبلقيس أحمد، الميسر في علم النفس الاجتماعي ، ط2 عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع1994.
9. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي،دار الكتاب العربي ، لبنان بيروت1987.
10. Resher (N) Introduction to values theory, new jersey 1969
11. Shafer (D) " Social psychology from a social-development perspective" , N Y.1977.
12. Smith . and sertanien, Values carification, phi de latakappa, 1994